

## تداولية الحوار في حديث كعب بن مالك

سماح يوسف السميريات \*

### ملخص

تناولت هذه الدراسة حديث كعب بن مالك عندما تخلف عن غزوة تبوك، محاولاً وصف حالته النفسية عن طريق السرد والحوار، ولما كان الحوار وألياته وإفرا، وشكل ظاهرة علمية، كان من الضروري امتحانه للكشف عن وظيفته في بناء الأحداث، والمشاركة فيها، وبيان الوظيفة الأيدولوجية له من خلال مقصدية المتكلم، كما أظهر الحوار استعمال لغة شعرية تنبئ عن قدرة الشاعر كعب بن مالك على إدارة حوار وانتقاء ألفاظه، ويعد المنهج التداولي منهجاً فعالاً في تحليل الخطابات وإنجازها الفني والمضموني، كما تعد تقنية الحوار من التقنيات الأساسية التي تقوم عليها الفنون النثرية؛ لذلك اتكأت هذه الدراسة على المنهج التداولي الذي يسمح بفهم مقصدية المتكلم من حوار، ودراسة أفعال الكلام وغيرها.

الكلمات الدالة: الحوار، التداولية، الحديث النبوي. الاستلزام الحوارية.

### مشكلة الدراسة:

تكمن مشكلة الدراسة في اختبار الخطابات الحوارية الواردة في حديث كعب بن مالك من الوجهة التداولية لصلاحية للانصياع لهذا المنهج، وبيان قدرتها من الناحية المضمونية على استيعاب الحدث من جهة، وبيان جمالياتها من الناحية الفنية مما حقق وظيفتها التأثيرية في المتلقي، كما لعبت دوراً كبيراً في بيان مهارات الاتصال بين الأشخاص في المجتمع.

### مقدمة

يعد الحوار آلية مهمة في تشكيل الخطابات، لما له من وظيفة نصية، ولا تقوم بعض الأجناس الأدبية كالمرسحة والرواية وغيرها إلا به، وقد صغّت اللسانيات الحديثة لهذه الآلية، وخاصة التداولية، كونه -أي الحوار- مقاماً تواصلياً ينبغي الاحتفاء به لما يتضمن من الناحية العلمية تفاعلاً تواصلياً يحتضن خصائص تواصلية وخصائص تداولية (نظيف، 2010).

ولقد استوقفني حديث كعب بن مالك عندما تخلف عن غزوة تبوك، لغته الشعرية، وإدارة الحوار فيه وتنوعها في مقام تواصلية أدى وظيفة تأثرية في نفس المتلقي، واستيعابها للحدث، والمراوحة بين السرد والحوار، وطريقة الحجاجة والاقناعية التي يتعاطاها الحديث شحنت همتي لأتوجه لتقاء الحديث ودراسته.

ولما كان الحوار سمة بارز في حديث كعب، دعاني ذلك الكشف عن الأسلوب الحوارية وأهميته، لذلك حرصت على انتقاء منهج لاستثماره في الطرح فكان المنهج التداولية الذي يعتني بالعلاقات بين الخطابات وصانع هذه الخطابات وأبرز مقولاتها الانجاز، والسياق، والفعل بنوع خاص وذلك حيث الكلام يعامل بوصفه فعلاً ينجز في سياقه سواء من جانب المتكلم أم من جانب المتلقي، وتهتم أيضاً باستعمال اللغة وتدرسها بوصفها ظاهرة خطابية وتواصلية واجتماعية في الوقت نفسه، وتدرس التلازم بين التعابير الرمزية والسياقات المرجعية، والمقامية والحديثة واللسانية، وتصف معنى الملفوظات في سياقها (بلا نشبه، 2011).

وعلى الرغم من شهرة حديث كعب بن زهير إلا أن الباحثين السالكين في دروبه كانوا من العلوم الدينية والدعوية، ومن هذه الدراسات على سبيل المثال لا الحصر دراسة [وقفات مع قصة كعب بن مالك ﷺ، لعبد الله عطا عمر] وكعب بن مالك دراسة في الانتماء لرفاعي سرور] وغيرها، وندرت الدراسات الأدبية والنقدية التي تتناول هذا الحديث بالدرس ما خلا دراسة الكترونية تكاد تكون الدراسة اليتيمة وهي [جمالية السرد في الأدب الإسلامي القديم] لعبد السلام رياح، ولم أعر على غيرها.

وتكمن إشكالية الدراسة في امتحان أشكال الحوار وفعاليتها في النص السردية (حديث كعب بن زهير)، لتجيب عن التساؤلات التالية: كيف وظف كعب الحوار في بناء أحداث تخلفه عن غزوة تبوك؟ وهل سيطر الحوار على انبناء الأحداث، أم

\* باحثة متفرغة. تاريخ استلام البحث 2018/10/6، وتاريخ قبوله 2019/3/4.

شارك فيها، أم ساعد في انبائها؟؟ وما الوظيفة التي أسهم الحوار في إنجازها؟ وللإجابة عن هذه التساؤلات لابد من تناول كل حوار ورد في حديث كعب:

**الحوار الأول: ارهاصات الخطيئة وثمرتها التخلف.**

**[حوار كعب مع مخاطبين ومتلقين القارئ منهم]**

**غزوة تبوك:**

قبل الخوض في الحوار لابد من الوقوف على السياق الذي قيل على أثره الحديث، فقد كانت مناسبة حديث كعب غزوة تبوك، وهي من الغزوات التي حدثت في عهد الرسول ﷺ، وكانت آخر غزواته، وتحديدا في شهر رجب في السنة التاسعة للهجرة، بعد فتح مكة، استمرت خمسين يوما، بدأت تداعيات تلك الغزوة عندما قرر الرومان إنهاء القوة الإسلامية التي أخذت تهدد كياناتهم المسيطر على المنطقة، فأراد النبي ﷺ أن يغزوهم قبل أن يغزوه، للتخلص من الخطر المحدق بالإسلام والمسلمين من من قبل الروم، الذين لم يحتملوا خسارتهم في معركة مؤتة، عدا عن ذلك فقد قام المنافقين بمراسلة الروم ودس المكائد للمسلمين، وارتكاب العديد من الجرائم في حق رسول الله ﷺ وفي حق المسلمين، ولهذه الغزوة مكانة عظيمة في التاريخ الإسلامي، لأن المسلمين فيها استطاعوا إثبات قوتهم أمام العالم أجمع.

وسميت غزوة تبوك، وأيضا غزوة العسرة لشدة ما لاقى المسلمون فيها من الضنك فقد كان الجو شديد الحرارة، والمسافة بعيدة، والسفر شاقا لقلّة المؤونة وقلّة الدواب التي تحمل المجاهدين إلى أرض المعركة، وقلّة الماء في هذا السفر الطويل والحر الشديد، وكذلك قلّة المال الذي يجهز به الجيش وينفق عليه (الواقدي، 1984-البصري، 1990- ابن كثير، 1986-الزرقاني، 1996- الشجاع، 1999)

وتأسيسا على ما سبق كان لزاما على المسلمين الاشتراك في هذه الغزوة وتقديم الغالي والنفيس في سبيل اعلاء كلمة الحق، وأن أي متخلف عن هذه الغزوة يساهم في تقهقر الإسلام، لذلك كان عقاب المتخلفين عنها شديدا وقد كان الصحابي كعب بن مالك من الثلاثة الذين تخلفوا عن هذه الغزوة، ولما كانت توبتهم صادقة نزل في حقهم قرآنا.

ويعد كعب بن مالك شاعر العقيدة الإسلامية، من الصحابة الأخيار الذين يُعرفون بورعهم ومنافحتهم عن عقيدتهم، وقع في شرك نفسه، ولم يشارك في هذه الغزوة وعوقب على ذلك بعدم التحدث معه، وهجره واعتزل زوجته، فتاب توبة نصوحة وحاول التكفير عن ذنبه وكان هذا الحديث الذي ذكر في كتاب المغازي من صحيح البخاري يصف ما حل معه.

**بدأ حديث كعب بـ:**

- (لم أتخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة غزاها إلا في غزوة تبوك).

- (ولقد شهدت مع رسول الله ﷺ ليلة العقبة).

- (غير أنني كنت تخلفت في بدر، ولم يُعاتب أحدا تخلف عنها)

- وإن كانت بدر أذكر في الناس منها.) (البخاري، 1993)

يبدأ حديث كعب بن مالك بـ (قال كعب) ولم يكن كعب موجها للخطاب ابتداء، بل يبدو أنه استقبل خطابا من محاور له، بادره بالسؤال عن موقفه في غزوة تبوك، فكان هذا الخطاب يمثل الحوار الرئيسي الذي سمح لكعب أن يبوح بموقفه، ولكن هذا الحوار الكبير ضم في طياته مجموع حوارات ردت الحوار الرئيسي، ويجوز لنا-حسب إجابة كعب الأولى - أن نتكهن بسؤال المحاور، وسنصطلح على تسميته بالمحاور الرئيسي: هل تخلفت عن غزوة تبوك؟ فيكون جوابه: (لم أتخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة غزاها إلا في غزوة تبوك...).

فهذا الخطاب المباشر يحوي مضامين مستترة، وسينتقل هذا الخطاب من الشخصية المرسل (السائل) إلى الشخصية المستقبلة لترد عليه، وقد وجه خطابه وحواره إلى متلقين تعاش معهم، وبعضهم شهد غزوة تبوك وغيرها من الغزوات، باثا لهم ما كان يدور في نفسه من محائثات، وأصداء العقوبة، وكان حوار بين طرفين ظاهريا، شاركهم كعب-مع المتلقى لهذا الحديث- الخلفية الثقافية، والبيئية التي عاشها؛ حتى يرسم البعد الدلالي لهذا الحوار، ويحدد النظرة الاجتماعية والدينية لثمره المعصية، فحاول تمرير ما يعرفه المتلقى من شهوده الغزوات وكأنه لا يريد أن يحمل الوزر كله أمام الجميع.

هذه الشق الأول من الإجابة يظهر فيه الحوار المباشر وعلى طريقة القداء باستعمال كلمة (قال كعب) فامتازت المحاوره بأنها قولية، وهذا القول الحواري يوثق الترابط في النص، بالإضافة إلى استعمال الأساليب الإنشائية كالنفي وأسلوب القصر والحصص، ويصمّم المحاور الآخر "السائل" ليستمع، ويضلل كعب يستحضر كل أطراف الإجابة دون أن يقاطعه؛ لأن كعبا في أصل حوار

يوجهه للأخريين ففيه يحدث التواصل.

وكعب يستخدم أسلوباً حجاجياً من بداية الخطاب لإقناع محاوره، فبدأ بتقديم نفسه حضور جميع الغزوات واستثناء غزوة تبوك، وغزوة بدر، وحضوره بيعة العقبة، وهو بهذه المتضمنات القولية " مفهوم تداولي إجرائي يتعلق يرصد جملة من الظواهر المتعلقة بجوانب ضمنية وخفية من قوانين الخطاب تحكمها ظروف الخطاب العامة كسياق الحال وغيره" (صحراوي، 2005) يبرز فيها الافتراض المسبق بعلم المتلقى بها، وبوجودها في ذهنه؛ وذلك لأن هذا الحديث تم بعد غزوة تبوك فالمستمعين يعرفونه جيداً أنه رجل يقدم روحه رخيصة لنصرة الدين، وشجاع يشهد الغزوات والمعارك.

وهذا الافتراض المسبق مهم في عملية التواصل والإبلاغ "يعرف في كل تواصل لسانی أن ينطلق الشركاء من معطيات وافتراضات معترف بها، ومتفق عليها بينهم" (صحراوي، 2005)؛ لأنه يعمل على إشراك متلقى الحديث في خطابه، ويجعله يتبنى فكرته، ومن خلالها تتم عملية التفاوض على نقطة معينة وهي الاشتراك في الغزوات وتثبيت شجاعته؛ وهذا القول مهم في الحوار لأجل البحث عن معلومة أو تعليمها لمن يجهلها أو ينكرها (المشهور، 2013) وجملة الخطابات التي قدمها تمنحه الثقة، وتجعل المتلقى (المستمع والقارئ) يتق به، فهو يشرك متلقيه في الحوار داخل النص ويعقد التواصل معه لتصديقه، ثم تهيئته لاستقبال حقائق أخرى قادمة.

ومن الأساليب الإقناعية أسلوب النفي الذي بادر به متلقيه (لم أتخلف) وهي صياغة تنجز وظيفة إظهارية مفادها أنه إنسان صاحب قيم ودين، وبالتالي ابعاده عن دائرة الشبهات، ثم أسلوب الحصر (إلا في غزوة تبوك) وهذا يجعله إنساناً يبوح بمكوناته النفسية، فهو يذكر ما له وما عليه، كما تنجز وظيفة نفسية وهي محاولة الوصول إلى التبرير الذي تهدأ به نفسه المذنب، ويصوغ خطاباً يشبع إجابة متلقيه، واكتمالية المعنى؛ بتحديد الحقيقة، وهذا مع الأخذ بعين الاعتبار هوية المتكلم ومقصده والوضعية التي هو عليها، فيتعدل المعنى ويتدفق ويغتنى (أرمينو، د.ت) ومن الأساليب الإقناعية التي أنجزها في هذا الحوار:

**أولاً:** بيان دوره في وجوده في جميع الغزوات، باستثناء غزوة تبوك، وحضوره بيعة العقبة، وبيان شجاعته، وموقفه من الدفاع عن حمى الإسلام، وألمه أنه لم يكن ضمن قائمة الرواحل الذين حملوا الدعوة إلى الله، ولم تنتظر من الدعوة أن تحملها (رياح، 2018)، كما بين من وجهة أخرى أن حجم ما حضره من غزوات يفوق ما تخلف عنه.



**ثانياً:** يوازن كعب بين غزوتين لم يحضرهما، الأولى غزوة بدر، والثانية غزوة تبوك، والأمر مختلف في التعامل مع الغزوتين ففي بدر لم يعاقب على تخلفه (لم يُعاتب أحدًا تخلف عنها) (البخاري، 1993) ولكنه عوقب في تبوك، ومع أن غزوة بدر مهمة وفاصلة، ومذكورة بين الناس (وإن كانت بدر أذكر في الناس منها) (البخاري، 1993)؛ لكنه كان يفضل أنه يحضر تبوك (وما أحب أن لي بها مشهد بدر) (البخاري، 1993)، فالوظيفة التي يؤديها ملفوظة تنجز وظيفة إظهارية تضع متلقى خطابه في موقع من يرى سريرته وطوباه، فكأنه يُقدّم شهادة تعصمه من أن يُنهم في دينه وصدق طويته؛ ذلك لأنه إذا لم يشهد غزوة كانت فاصلة بين الكفر والإيمان، وكان لها الدور الكبير في نفي استشعار معية الله - تعالى - في نفوس المسلمين وذخّر جيوش الكفر وتمزيقها كلّ مُمزّق، ولم يُعاتب، كما لم يُعاتب غيره، فإن الأمر يبدو أن فيه مُسئلاً يعيش المسلم منه رياء، فإن أراد الالتحاق بالمجاهدين التّحق وإن لم يُرد فإن الأمر طوّغ يمينه (رياح، 1918) وربما هنا مكن الخطيئة أنه ظن أن الأمر طواعية، في حين كان الأمر أكبر من ذلك، فقد كان معسراً وقت غزوة بدر بينما هو ميسوراً حين وقعت غزوة تبوك، (ولم أكن قط أقوى ولا أَسر حين تخلفت عنه في تلك الغزوة) (البخاري، 1993)، ولكن كيف حدث هذا التغيّب؟

تأتي إجابة كعب على الشق الأول متصدرة بـ (قال كعب): (فما رجل يريد أن يتغيّب إلا ظن أن سيخفى له، ما لم ينزل فيه وحي الله) (البخاري، 1993)، إذن لا يستطيع أحد التغيّب عن الغزوة، لأن سينزل في حقه وحيًا يخبر عنه، وهذا يدل على علم كعب بالمداخل التي من خلالها يُمكن للمرء في المجتمع الإسلامي أن يتخلف عن أمر جامع من غير أن يُلام (رياح، 1918) كما يسجل الوحي مواقف الناس في تطبيق تعاليم الدين ويخلدها، لأن التعامل مع الله الذي لا يستطيع أحد من الناس خداعه.

وأما الشق الثاني من الإجابة فهو يبين أن تخلفه عن المشاركة في الجهاد فإنه لن يفعل إلا بداعي التهاون والكسل في أحسن الأحوال (رياح، 1918) فيجيب عليه بذكر مآطلته في التجهيز وتسويفه له (فطفقت أعدو لكي أتجهز معهم فأرجع ولم أقض شيئاً

فأقول في نفسي أنا قادر عليه فلم يزل يتمادى بي حتى اشتد بالناس الجد فأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه ولم أقض من جهاري شيئا فقلت أتجهز بعده بيوم أو يومين ثم ألحقهم فغدوت بعد أن فصلوا لأتجهز فرجعت ولم أقض شيئا ثم غدوت ثم رجعت ولم أقض شيئا فلم يزل بي حتى أسرعوا وتفارط الغزو وهممت أن أرتحل فأدركهم وليتني فعلت فلم يقدر لي ذلك (البخاري، 1993).

وتأسيسا على ما سبق تبرز أهمية الحوار تنبثق من وظائفه الحيوية، التي يظهر من خلالها عرض ورسم صورة الأشخاص أمام المتلقي بخصوصياتهم الفردية الحية (سماحة 1999) ولعل من أهمها الشخصية المستخدمة للحوار، التي تخدم غرضين: أولهما أنها تقوم ببناء أبعادها من خلال تحدثها، فيعكس التحدث على البناء، وتخرج الشخصية من ملامحها الضبابية (المشهورى، 2013)، وعليه ظهرت شخصية كعب الصادقة مع نفسها أولا، ثم مع الله والناس ثانيا، وبين الحوار الموقع الاجتماعي لشخصية كعب: تربيته وثقافته، ومكانته الاجتماعية بين قومه، فينبني على ذلك تأثيره في المتلقي، ويكون أقرب إلى الاقتناع بأسلوب تفكيره ونظرتة إلى الآخرين ونوع أسلحته في الصراع وأخلاقه صفة عامة (حسن، 1987).

#### الحوار الثاني: نظرة الآخرين للمتخلف عن الغزوة.

##### حوار الرسول ﷺ مع مجموعة من الصحابة في تبوك.

أورد كعب بن مالك خطابا على لسان متحاورين آخرين، ولم يكن من ضمنهم، ولكنه لعب دور السارد لهذا الحوار: يقول: (ولم يذكرني رسول الله ﷺ حتى بلغ تبوك فقال وهو جالس في القوم بتبوك: ما فعل كعب؟ فقال رجل من بني سلمة: يا رسول الله حبسه برده ونظره في عطفه. فقال معاذ بن جبل: بئس ما قلت، والله يا رسول الله، ما علمنا عليه إلا خيرا. فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم) (البخاري، 1993).

حاول كعب في حديثه أن يذكر كل ما دار بشأنه من متعلقات تخلفه عن الغزوة، ولكنه مبدع في صياغة حوار و عدم خروجه عن الحوار الحقيقي، فقد استفاد بتوثيق هذا الحوار على الرغم من عدم حضوره له من تجييره لصالحه، فخرج الحوار من الناحية الحجاجية بما يلي:

أولا: بدأ الحوار باستفهام صدر عن الرسول ﷺ (ما فعل كعب؟) وهذا الاستفهام أدى وظائف عدة منها:

افتقاد الرسول ﷺ له، وهذا يدل على أهميته كشخصية دينية تُتقَد في هذه المواقف، كما يدل على حرص النبي ﷺ على تفقده ومحاسبته.

والاستفهام من الناحية الدلالية مهم في تكوين المحاورة، ويحتاج لصياغة بحسب المستفهم عن ماذا يريد أن يستفهم، فالرسول ﷺ لم يسأل: (أين كعب؟ لم لم يأتي كعب؟ لماذا تخلف كعب؟ ...) ولكن سؤله محدد (ما فعل كعب؟) لأن كعبا كان يعد العدة ويتجهز للغزوة ولكنه تكاسل حتى أدركه الوقت، وأيضا إيراد كعب لهذا السؤال يجعل المتلقي في شوق ليعلم الإجابة من أصحاب كعب كتمهيد لإجابة كعب نفسه في الحوار اللاحق الذي يسأل فيه الرسول ﷺ كعبا عن نفسه، وهذا ما يجعل للحوار قيمة وأهمية وقد فصلها توفيق الحكيم بقوله: (العجيب في الحوار ليس أنه يؤدي الأغراض المختلفة بمفرده، بل العجيب أنه يؤديها كلها في الوقت عينه، فقد يرسل العبارة من عبارته رسالا على لسان شخص... فإذا هذه العبارة محمولة بمختلف المهام؛ ففيها إخبار بحادثة، وفيها تكوين لشخصية، وفيها خلق لحو وفيها تلوين لروح مظلم، أو مفرح) (الحكيم، د.ت)

ثانيا: الأمانة في نقل الحوار، وإن كان ضده، (يا رسول الله حبسه برده ونظره في عطفه) أي أن كعبا إذا لبس شملة أو بردة تكبر فيها واختال وأعجب بنفسه. [، وهذا الملفوظ يقول من الناحية التواصلية [كعب منعم، ومنكبر، ومغرور] وهذه الصفات ليست لصالح كعب؛ لأنها تغضب رسول الله ﷺ وتضع كعبا مع المنافقين الذين تشغلهم الدنيا بقشورها عن الآخرة، والاهتمام بإعلاء كلمة الله وتنفيذ أوامره بالجهاد، ولكن ذلك الملفوظ القولي ينجز وظيفة إقناعيه حجاجيه تجعل المتلقي يثق بخطاب كعب وصدقه في نقل الحديث، وبالتالي سيسلم له أمره منطقيا.

ثالثا: الاستفادة من الحوار في رسم الشخصيات، وبعدها الاجتماعي، ورسم الشخصيات ليس مجرد الإخبار عنها، بل استحضارها حتى تكون قريبة في ذهن القارئ (الحمود، 2010) وتبين ذلك في وصف كعب لشخصية الرجل (فقال رجل من بني سلمة) فهذه اللغة الخطابية تحدد البعد الاجتماعي للشخصية من خلال السياق الموقفى أو التداولي (أرمينو، د.ت)، وتتمتع بالاقتماد اللغوي الذي ينجز الكثير من المعنى، تتكلم بشيء وتريد قول شيء آخر، فكعب يريد أن يقول إنه من أقاربي؛ لأن كعبا من بني سلمة، ويستثير عاطفة المتلقي ليتعاطف معه، وينصرف عن تجريمه، فيكون مقصد الملفوظ أنه لم يسلم من إيذاء أقاربه له في غيابه، كما يشي الملفوظ بثقل الحزن والندم والألم الذي يعاني منه كعب، فعواقب تخلفه جعلت أقاربه يخوضوا في سمعته.

وإنه (رجل) لا أريد ذكر اسمه، فضلًا نكره؛ ليكون رأيه نكرة أمام المتلقي، ولكنه حرص على ذكر المتحاور الثالث (فقال معاذ بن جبل) وهي طريقة ذكية في التعبير عن نواحي الشخصية، والكشف عن تكوينها (عبد الفتاح، 1975)، وهذا الخطاب ينجز وظيفة تمثليه تكشف وتصور الشخصيات من الداخل إلى الخارج، وتركز على الأبعاد الثلاثية: البعد الجسمي، والاجتماعي، والنفسي (نجم، 1980).

رابعًا: يجعل من سياق الحوار وجدانيا انفعاليا من أجل إثارة المتلقي، وينجز وظيفة انتباهيه، يستعمل فيها كعبا ما يمكن وصفه بالتشنج الحوارية وهذا التشنج طريقة تجعل من الحوار في نبرته ما بين ارتفاع وحدة، وهذوء ورقة، وتعتمد هذه الطريقة على الحدث الذي يمثل أرضية للحوار، والمضمون المتحاور عليه (المشهور، 2013)، وتمثل ذلك برد معاذ بن جبل-المتحاور الثالث: (بئس ما قلت)، ففي ملفوظه نبرة عالية تزيل اتهام الرجل لكعب وتنسفه، فهي من الناحية التداولية تقول [بئس الشيء الذي قلت] أو [كل ما قلت سيء]. على اعتبار استخدام (ما) من الوجهة النحوية كلمة مبهمة يؤدي بها لأغراض متعددة: فقد يكون الغرض من الإتيان بها الإبهام على السامع، أو قد يكون الأمر معلوما فلا تريد أن تعيد ذكره فتكتفي بالإشارة إليه (السامرائي، 2003).

خامسًا: اشراك أطراف صامته في الحوار أدلت برأيها دون أن تتحدث، تبين ذلك في قول معاذ: (ما علمنا عليه إلا خيرا) ففي العبارة إدلاء شهادة مهورة من لفيق من الناس-حضورا وغائبين-ضمتها (نا) في (علمنا)، وتحقق العبارة نظرية أفعال الكلام التي أشار إليها أوستين [يرجع أوستين أفعال الكلام إلى ثلاثة أنواع: (فعل الكلام، وقوة فعل الكلام، ولازم فعل الكلام) (أوستن، 2008) وخاصة قوة فعل الكلام لفظة (علمنا) تجعلنا مع محاورين يبرزون بدورهم شخصية كعب كمعالم متفق عليها مسبقا في ذهنه، وذهن شخصية المتلقي، وهذا بفعل ما حدده السياق التداولي، صفات كعب الصحابي والشاعر معروفة للقارئ وهذه المعرفة تقوم بدور شخصية ثالثة في الخطاب الحوارية ترسل شفرات من شأنها تحديد معالم هذه الشخصية وتتقهم رسالتها، كما حققت الاقتصاد في اللغة، وأدت وظيفة إقناعيه لإسكات الخصم، وجعلت السارد يستجمع قواه لطرح حوارية أقوى تدعم حقيقة موقفة.

وتأسيسا على ما سبق فالحوار السابق يفتح أفقا لمهارات الاتصال بين الأطراف المتحاور، وضرورة انتقاء ألفاظهم، كما عليهم تحري الصدق فيما ينقلونه، ومعرفة مكانة الشخصية المحاوره وحالتها النفسية، ومعرفة الظروف الحياتية لسياق المحاوره، فنجد أن الرجل من بني سلمة لم يتحرى الصدق فيما قاله عن كعب والدليل قول معاذ له (بئس ما قلت)، كما أنه في حضرة النبي ﷺ، ويعرف الظروف المحيطة بالجزوة من كثرة المنافقين، وكثرة الروم، وقلّة جيش الرسول ﷺ والحر الشديد وغيرها، كما أن حديثه هذا سيصل والإساءة ستصل ويكون وقعها حينئذ سينا مثلها، كما لم يراع القرباة التي بينه وبين كعب حين تأول عليه، ولكن المحاوره أفرزت أيضا أن هناك من يدافع عن الحق، ويرتب كلماته ويرعى لمن ستنذهب .

### الحوار الثالث: المواجهة. [حوار الرسول ﷺ مع كعب]

لا بد من الناحية التداولية من معرفة الظروف المحيطة بهذا الحوار، والسياق الذي قيلت فيه، حتى تفهم رسالة الباث بواسطة اللغة، وبالتالي يتم فهم المقاصد القولية من خلال السياق الذي تُدوّل فيه، فقد دار هذا الحوار بعد ققول الرسول ﷺ، وسؤال المخلفين - وكانوا بضعة وثمانين - وبإيعام الرسول واستغفر لهم، ووكّل سرائهم إلى الله، وجاء دور كعب (فجئته، فلما سلّمت عليه، تَبَسَّمَ تَبَسُّمَ الْمُغْضَبِ ثم قال تعال، فجئنت أمشي حتى جلست بين يديه، فقال لي: ما خَلَقَكَ؟ ألم تكن قد ابتعت ظهرك؟) (البخاري، 1993)

فالشق الأول من الحوار أنجز أفعالا وهي:

- (فجئته) مجيء كعب إلى الرسول ﷺ

- (سلّمت عليه) والسلام له كيفية، ففيه مصافحة، وربما عناق.

- (تَبَسَّمَ تَبَسُّمَ الْمُغْضَبِ) تحريك الفم مع تغير ملامح الوجه لأن الابتسام رافقه غضب.

- (تعال) المناداة على كعب ويرفقاها إشارة باليد، وتحتاج إلى التحرك للوصول إليه.

- (فجئنت أمشي) مشي كعب باتجاه الرسول ﷺ

- (جلست بين يديه) الانتقال من الوقوف إلى الجلوس .

وهذه الأفعال تسمح بمعرفة حالة المتحاورين النفسية أثناء المحاوره -الرسول ﷺ وكعب- فالرسول ﷺ غاضب، وكعب خائف متردد شاعرا بالتقصير، وهذه الأجواء تنبئ بمحاوره جادة، ويمكن وصفها بالتشنج الحوارية؛ لأنها تراوحت بين ارتفاع في النبرة (ما خَلَقَكَ؟) ثم تهدأ قليلا، فيأتي السؤال الآخر تترا (ألم تكن قد ابتعت ظهرك؟) وهذه الاستفهامات من الرسول ﷺ تحمل مثيرات لفظية عن طريق أدواته (ما، ألم) فهي تطلب من مخاطبه أن يحصل على ما في ذهنه ما لم يكن حاصلًا مما سأل عنه (السيوطي، 1975)، كما أنّها أسئلة اتسمت بالإيجاز والقصر.

والسؤال الثاني (ألم تكن قد ابتعت ظهرك؟) ضيق ومحدد، فلو كان السؤال فقط (ما خَلَّفَكَ؟) لكان هناك سعة بالإجابة من ضمنها الاعتذار بعدم وجود ركوبة، وهي من أهم الأسباب المادية للغزوة، فالاستهتام غالبا ما يتصل بموقف ينزع صاحبه على تحقيق كشف شيء، أو يتصور أنه يتوصل من خلاله إلى كشف يشرك المتلقي فيه، وينتزع منه إقراره ضمنا (يوسف، 2001)، وهذا ما لعبته أسئلة المحاورة وقد تبين ذلك من خلال إجابة كعب التي جاءت صادقة، وعفوية دون تخطيط، وتقول كل ما لديها: (بلى، إني والله -يا رسول الله - لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا، لرأيت أن سأخرج من سخطه بعذر، ولقد أعطيت جدلا، ولكني والله، لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني، ليوشكن الله أن يسخطك علي، ولئن حدثتك حديث صدق تجد عليّ فيه، إني لأرجو فيه عفو الله، لا والله، ما كان لي من عذر) (البخاري، 1993).

وهذه إجابة صادقة فيها اعتراف بالخطأ، توصل إليها كعب؛ ليتخلص من الأجواء النفسية العنيفة التي تلازمه نتيجة تخلفه رغم قدرته على المشاركة، وصراعة بين أن يقول الحقيقة أو يواربها، وهذه الحالة يمكن وصفها-إن جاز لي التعبير-بالتفريغ العاطفي والنفسي والدفاعي نتيجة تعرضه للمواجهة، وفيها تغليب للعقل على العاطفة.

وعلى الرغم من الحالة النفسية الحزينة لكعب، إلا أنه استخدم الخطاب الحجاجي في حوار مع الرسول ﷺ، ولأن كان الحجاج في تصوره الأول ملازما للخطابة (شارودو، 2008) فكعب عاش في زمن الخطباء، وهو متكلم ومن وجهاء القوم، وقد صرح بذلك (ولقد أعطيت جدلا) والجدل يحتاج إلى أدلة ومحاججة، فلا بد من أن يستخدم كفاءته الإنسانية في استعمال الوسائل اللسانية لبلوغ الغاية والهدف. فلم يبادر كعب بالذنب، وإنما أجله إلى نهاية الحوار، ولكنه قدم له بأساليب إقناعية منها:

أولا: البرهان بالقسم (والله) وهذا يجعل كلامه حقيقيا وصادقا.

ثانيا: بيان هيبية الرسول ﷺ (لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا، لرأيت أن سأخرج من سخطه بعذر).

ثالثا: التوجه إلى الصدق في القول؛ لأنه منجاة من عذاب الله، ويخفف عنه العقوبة المترتبة على ذنبه.

مر هذا الحوار الحجاجي الذي دار بين كعب والرسول ﷺ بثلاثة أطوار: بدأت بالطور التنازعي وهو (الإعلان عن وجود حالة تنازع، ويتم بسط الخلاف، وتعيين المسألة التي يدور حولها النقاش) (الراضي، 2010) وفيه تم تحديد مسألة الخلاف وهي معرفة سبب تخلف كعب (ما خَلَّفَكَ؟ ألم تكن قد ابتعت ظهرك؟).

واستخدم الرسول ﷺ أسلوبا من أساليب الحجاج وهو إبراز التناقض، وتتمثل في إبراز تناقضه مع نفسه (بلانتان، 2008)، فكعب تجهز للغزوة لماذا لم يغزو؟ والطور الانفتاحي ويتم خلاله (اتخاذ القرار بحل النزاع بواسطة محادثة موجهة بقواعد حجاجية) (الراضي، 2010)، وتجلي ذلك باتخاذ كعب القرار بقول الصدق، ثم يأتي الطور الحجاجي، والذي مهد له الطوران السابقان، وفيه (يتصدى المعارض للدفاع عن معروضه، أما المعارض فيقوم بالإلحاح في طلب المزيد من الحجج) (الراضي، 2010) وتبين ذلك من حديث كعب (بلى، إني والله -يا رسول الله -لو جلست... لأرجو فيه عفو الله).

ثم يكون الطور الختامي ويتم فيه حل المحاورة ( ) (الراضي، 2010)، وبحلها تظهر النتيجة النهائية للحوار وما انتهى إليه التحوار الحجاجي بين كعب والرسول ﷺ كان اعتراف كعب (لا والله، ما كان لي من عذر) وقول الرسول ﷺ: (أما هذا فقد صدق، فمّم حتى يقضي الله فيك).

ومن هذا الحوار نخرج بقيمة عالية وهي قول الصدق مهما كانت الظروف؛ لأن الصدق منجاة، كما يخفف من العقاب، ويريح نفسه المتقلبة التي تصارع من أجل السلام والهدوء من هذا الذنب.

#### الحوار الرابع: البحث عن صديق

##### [حوار كعب مع أبي قتادة]

في كل حوار كان كعب يستخدم تكتيكا ذا بعدا توصليا مختلفا، يتناسب مع موقف الحدث، ففي حوار كعب مع أبي قتادة، كانت الطريقة تسور الجدار للبدء في الحوار، فيسيطر الحوار هنا على البناء الحكائي للحدث، وهذه من الناحية الفنية تدل على عناية كعب ببناء الأحداث، من حيث اختيار البداية الجاذبة المثيرة، وانتقاء الموقع المناسب للأحداث التطويرية، والسير بالأحداث سيرا منطقيا مقنعا (الخازمي، 2006)، يراعي حالاته النفسية في انتظار صدور الحكم بحقه، وإحاطة المتلقي بما يحدث، وهذا ينجز القواعد التداولية التي تحاول البحث عما يشترك في تحديد اقتسام فحوى الخبر والمعلومات الدلالية في الخطاب (دايك، 2000)

فبعد صدور أمر من الرسول ﷺ بعدم الكلام مع المتخلفين الثلاثة، ومقاطعتهم، دارت هذه المحاورة بين كعب وأبو قتادة ابن عمه، وهي محاورة قسرية فرضها كعب على ابن عمه، بعد أن قفز من فوق سور بيته (مشيت حتى تسورت جدار حائط أبي قتادة، وهو ابن عمي، وأحب الناس إلي، فسلمت عليه فوالله ما ردّ السلام، فقلت: (يا أبا قتادة، أنشدك بالله هل تعلمني أحب

الله ورسوله؟ فسكت، فعدت له فنشدته فسكت، فعدت له فنشدته، فقال: الله ورسوله أعلم، ففاضت عيناى وتوليت حتى تسورت الجدار) (البخاري، 1993)

فالحوار السابق كان شرارة انطلاق حوار انفجاري لم يصمت صوته حتى انتهى، مما يشير إلى فيض الحالة النفسية المتأزمة عند كعب، وأوحى له ببدء حوار بهذه الطريقة، فمهد لحواره بسرد يصف حالة المحاورة، وقد تبين ذلك من قول كعب: (فسكت، فعدت له فنشدته فسكت، فعدت له فنشدته) ولعل ما دفعه إلى تكرار المحاولة في استنطاق المُحاور الآخر وإخراجه من صمته، هو ضجره من الحصار المفروض، ففجر الموقف حوارا.

ومن الملاحظ أن الحوار أتى من جهة متحدث واحد -هو كعب- لأن الطرف الآخر لا بالصمت، وهو مجبر عليه؛ لأنه ينفذ أمر الرسول ﷺ بمقاطعة كعب، وعندما تحدث كان خطابه (الله ورسوله أعلم). وقصدية هذا الملفوظ (ليس عندي ما أجيبك به لأن العلم عند الله والرسول) وهذا يغلق الحوار لحصول الاضطراب في المقام التواصلى بين الشخصيتين فأدى ذلك إلى فشله وانغلاقه.

كما تبين ملفوظ الجملة أهمية المتكلم، والملاحم السيوسولوجية له (أرمينو، د.ت)، ليسوغ التصرف الصادر عنه، فتلفظ أبي قتادة (الله ورسوله أعلم) يحددان البعد الاجتماعى للشخصية وهى الدين، والرأى السديد، فقد لجأ إليه كعب يستصحه، كما يلاحظ الانسجام والقرب بين الشخصيتين من خلال وصف كعب (ابن عمى، وأحب الناس إلى). فقد يتقبل كعب قطيعة الناس رغم ثقلها، ولكن قطيعة الاقرباء المخلصين فهى تنوء بكاهله.

ويبدو أن كعبا يستخدم أسلوب التكتيف الحواري في محاولة للوصول إلى إنتاج أفكار وتجارب سريعة -ونتيجة لما تمليه عليه ضغوطات نفسه وتوقه من الاعتناق من الجو النفسى الخانق الذي يعيشه- ليصل إلى حدود أبعد من إطار النص وشخصه إلى المستهدف من الخطاب خارج النص (المشهورى، 2013)، ليستوعب الحوار طرفا آخر هو المستمع لهذا الحوار (عبد الفتاح، 1975)، وعلى الرغم من قصر الحوار لعدم تجاوب المحاور الآخر معه إلا أن حوار حمل الأحداث حملا، ولم يصفها (وصفا خارجيا كما وقعت في الماضى بأسلوب القص، إنما يقوم الحوار بتجسيد الأحداث أمام المشاهد في صورة حية متحركة تتمثل فيها الحركة الداخلية للأحداث) (نوفل، د.ت)، ويبدو من هذا الحوار أن الإنسان الصادق عندما يواجهه موقفا صعبا يلجأ دائما إلى المقربين الأوفياء ولا يجد حرجا في الالاحاح في طلب مساعدتهم ونجدتهم، كما يبين أيضا الحوار سمة الانسان الملتزم دينيا أنه يحرص على تطبيق كلام الرسول ﷺ والانصياع لأوامر العقيدة رغم ثقلها على نفسه فابن عم كعب طبق أوامر الرسول ﷺ على الغم من عدم رؤية الرسول أو أحد له فالإخلاص يكون فى السر والعلن.

#### الحوار الخامس: تصيد الفرص

##### [حوار كعب مع النبوى]

اتخذ هذا الحوار صيغة جديدة بالنسبة للحوارات السابقة؛ وذلك لأن كعبا لم يكن موجهاً للخطاب، وإنما مستقبلا له، والطرف الآخر كان خطابا مكتوبا، قام بتسليمه رجل نبوى، جاء في خطابه:

(أما بعد، فإنه قد بلغنى أن صاحبك قد جفاك، ولم يعجلك الله بدار هوان ولا مضبعة، فالحق بنا نواسك) (البخاري، 1993).  
أما رد كعب عليه فكان قوليا وفعليا (وهذا أيضا من البلاء، فتيمنت بها التنور فسجرتة بها) (البخاري، 1993) فهذا اللفظ يحقق مبدأ الاقتصاد في الخطاب لأنه استغنى عن كلمات كثيرة (هوك، 1986)، وأنجز اللفظ مقصدية المتكلم، كما تضمن الرد قولاً (وهذا أيضا من البلاء)، وأما الفعل فتمثل في حرق الكتاب، وهذا الحوار يوحي بما يلي:

-مكانة كعب الاجتماعية وأهميتها فى قومه وخارجة.

-إعطاء وصف منصف للهدف من وراء الكتاب صادر عن دينه ورجاحة عقله (وهذا أيضا من البلاء)، كما تدل على الوضع المادي والنفسى من إحاطة الهموم به إحاطة السوار للمعصم.

-التصرف السليم والذي تضمن فعلا، وهو (فتيمنت بها التنور فسجرتة بها) والحرق يدل على إذابة وإزالة ما يؤذيه، وإيقاف ذنوبه بعد ذنب التخلف عن الغزوة، وأن مصير الارتداد عن الدين هي النار، فحرق الكتاب قبل أن تحرق روحه ونفسه.

ومما يلاحظ على الحوار أنه يشارك الحدث ولا يسيطر عليه؛ وذلك لسيطرة العاطفة الحزينة التي لعبت دورا في تقديم المشهد، ولعل هذا ما يسمى بالذاكرة الخطابية فيقع الخطاب تحت خطابات أخرى (شارودو، 2008) ويخرج النص من سلطة المبدع إلى سلطة المتلقي (الهيوميل، 1994). كما أن السرد لم يكن طويلا، فجاء الخطاب متوازنا ومتناغما مع الحدث الكبير المطروح.

ويشي هذا الحوار بقوة إيمان كعب، وحسن تصرفه حيال النيل من دينه، وثباته، فالإنسان الملتزم مع الله لا يلتفت إلى الفتن،

كما بين الحوار مدى قدرة العدو على تصيد الفرص وإيجاد ثغرات للدخول منها لزعة الدين.

#### الحوار السادس: الوحدة والانعزالية

##### [حوار كعب مع رسول الله ﷺ وزوجته]

تمت هذه المحاور بعد أربعين ليلة في بيت كعب، حيث جاءه رسول الله ﷺ، قائلاً: (-إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تعتزل امرأتك فقلت: أطلقها أم ماذا أفعل؟ قال: لا، بل اعتزلها ولا تقربها) (البخاري، 1993)

هذا الحوار على الرغم من قصره لكنه استطاع أن ينهض بالحدث كاملاً، ويدل على امتداد العقوبة واستمرارها على كعب، حتى طالت أسرته وأقرب الناس إليه، ويدل على الحالة الحزينة والبائسة التي وصل إليها، فقد فُرض عليه سجن معنوي، وعزلة مع أنه في وسط الناس، وما عليه إلا الامتثال لما طلب منه، ولا بد أن هناك حواراً دار مع كعب وزوجته عن كيفية الاعتزال فيكون جواب كعب لها:

(الحقّي بأهلك، فتكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر) (البخاري، 1993).

والسؤال هنا: لم يُحرم كعب من المجتمع والأقارب والزوجة؟ لم لم يكتف بمقاطعة الرسول له، أو الأقارب؟ ولعل الإجابة عن هذا السؤال هو إيصال رسالة مفادها أن المشاركة بالغزوة والجهاد يعني حماية للمجتمع والدين والعرض والنساء والأسر، فكما أنك تخلفت عن هذا الجهاد، فأنت لم تحافظ على هذه القيم فأنت تستحق هذه الانعزالية، ومن الناحية الأسلوبية مهد كعب لحوار آخر قريب من هذا الحوار هو حوار زوجة هلال مع الرسول ﷺ .

#### الحوار السابع: الاسترحام

##### حوار زوجة هلال مع الرسول ﷺ،

هذه المحاور جاءت بعد قرار النبي ﷺ باعتزال الرجال الثلاثة -كعب بن مالك، وهلال بن أمية الواقفي، ومرة بن الربيع العمري- لزوجاتهم، وقد كان الرجلان كبيران في السن، وأما كعب فكان شاباً وقوياً، وقد صرح بذلك في موضعين من حديثه الموضوع الأول (فأماً صاحبي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان، وأماً أنا فكنت أشب القوم وأجلدهم) (البخاري، 1993) والموضع الثاني في خوفه من استئذان الرسول ﷺ في بقاء زوجته وحجته أنه شاب (وما يدريني ما يقول رسول الله ﷺ إذا استأذنته فيها وأنا شاب؟) (البخاري، 1993).

وهذا في المقتضي التداولي يوصل إلى:

- تميز كعب بالقوة والشباب والاندفاع، والقدرة على طرح قضية دينية اجتماعية مهمة.  
- ردة الفعل إزاء موقف معين مختلف من شخص لآخر، فربما لو كان كعب رجلاً كبيراً لما سمعنا بهذا الحديث وأكتفى بالبكاء كما فعل أصحابه.

- يخف الحمل النفسي إذا وجد معه أشخاص تلقوا العقوبة نفسها فكما يقول المثل (الموت مع الجماعة رحمة).  
- متابعة كعب لكل صغيرة وكبيرة تصدر عن الرسول في حق الذين تخلفوا عن الغزوة، وتتعلق به سواء أكانت في حقه أم عليه، وهذا يدل على دينه وورعه، بالإضافة إلى المحاولة الجادة ليقضي ثقته من الأئم والخطيئة.  
حاول كعب توليد محاور -كما رويت له- بين النبي ﷺ وزوجة هلال بن أمية الواقفي، ويطلق عليها في التداولية (التوليد الحواري) (بوقرة، 2009) وقد أنشأه كعب بغية توظيف الاستفهامات المولدة من أطراف حوارية ثانوية؛ لاستدراج المتلقي في اكتشاف موقف كعب من عدم مراجعته الرسول في إرجاع زوجته، وبيان صبره، وثقل همومه.

جاء الحوار حين بادرت زوجة هلال النبي ﷺ قائلة:

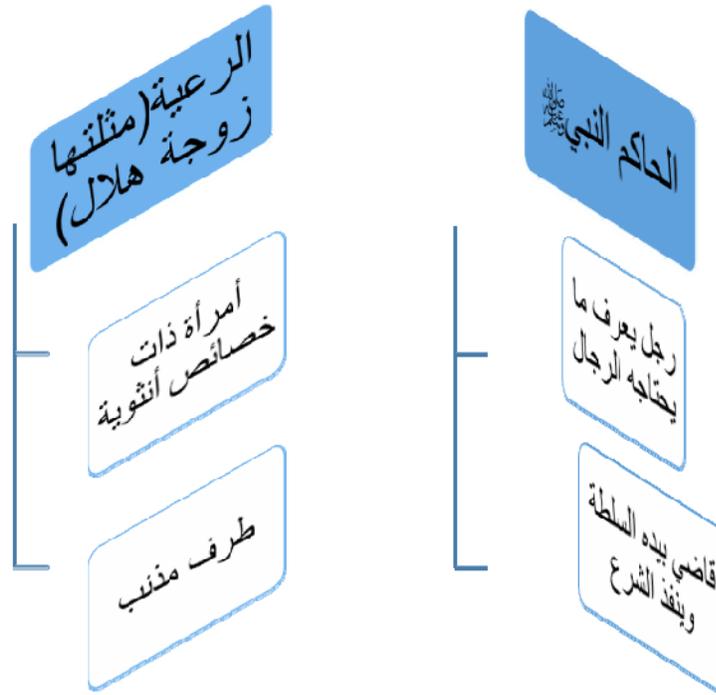
- (يا رسول الله، إن هلال بن أمية شيخ ضائع ليس له خادم، فهل تكره أن أخدمه؟)

قال: (لا، ولكن لا يقربك):

قالت: إنه والله ما به حركة إلى شيء، والله ما زال يبكي منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا) (البخاري، 1993) وأبرز الحوار السابق أبعاد الشخصية؛ لأن الحوار كان محملاً بفكر الشخصية المتحاور لا بفكر ناقلها كعب، ولكن الخطاب يزوج بين شخصية مطروحة تتمتع بالصرحة، وتعطى سؤلها، وبين شخصية كعب الذي منع حاجته؛ ليبين ألمه النفسي وضيقة، وهي مفارقة موقف أجزاها كعب، جعلت الحوار يؤدي وظيفة تبليغيّة تأثيرية للمتلقى.

قام الحوار بين طرفين فقط هما: النبي ﷺ، وزوجة هلال، وبالتالي سيكون الخطاب موجه من: [الرعية (مثلتها زوجة هلال)] إلى الحاكم النبي ﷺ، ومن امرأة ذات خصائص أنثوية إلى رجل يعرف ما يحتاجه الرجال، ومن طرفٍ مذنب إلى قاضي بيده السلطة

وينفذ الشرع]. ويبين الشكل التالي أوجه الخطاب:



فالخطاب لا بد أن يكون بمستوى الطرف الصادر عنه، فتلفظ زوجة هلال على الرغم من أنه استرحامي من الدرجة الأولى، إلا أنه مشوب بروح الحجاج، ومن ذلك المناداة عليه (يا رسول الله) وفيه اعطاء الطرف الآخر حقه باللقب والتقدير؛ ليلتفت لما سيتبع المناداة، وأسلوب النداء ذو تأثير لا يمتد داخل النص فحسب، وإنما للمتلقي. إذ النداء يقع في نفس منادى أولاً، وإثارة فضول المحيطين بالمنادى ثانياً، وهذا ما يجعل إبقاء المقام التواصلية مستمرا فيتجلى الهدف من استعمال النداء، ومن الوجهة التداولية فمن خلال النداء في الحوار يتضح مفهوم السياق لحظة النداء، ومتضمناته القولية، كما تكسب الحالة المصاحبة للنداء قوة تأثيرية إضافية تكشف عن هوية المتكلم.

وبعد تهيئة المتلقي من خلال النداء شرعت زوجة هلال في ذكر اسم زوجها (إن هلال بن أمية) وهي بارعة إذ لم تخبر الرسول أنه زوجها، ولكنها ذكرت اسمه فهي تقصد أن هلال من الثلاثة المتخلفين والمعاقبين، ثم باشرت بالخبر عنه أنه (شيخ) كبير في السن و(ضائع) تريد أن تبين الوضع النفسي لزوجها تحت مظلة العقوبة، ثم مبررة عدم استطاعته خدمة نفسه (ليس له خادم)، فهذا تقديم حقق قاعدة الملائمة ومناسبة وتوافق المشاركة التواصلية للسياق التخاطبي (بوقرة، 2009)، فقد راعت أبعاد شخصية زوجها النفسية والاجتماعية، وحافظت على بقاء مستوى الحوار في نبرة هادئة، ويمكن أن يوصف السياق الحوارية السابق بالوجداني، والذي تلاه الطلب بصورة الاستفهام الذي يبقى المتلقي معه في مقامه التواصلية بذهن حاضر وفكر متوقد: (فهل تكره أن أخدمه؟)

إن هذا الخطاب يمثل أسلوباً من الأساليب الحجاجية، وهو إبراز التناقض، فلم تذكر هل تحب أو تسمح أن أخدمه؟ وحاولت جعل خطابها تناقضياً، لأن التناقض يصير الأمر واضحاً للمحاور، ويوقع في الحيرة، فتضمن بذلك الرد الذي تبتغيه، وبالفعل تحصل لها ذلك: (لا، ولكن لا يقربك)، هذه الإجابة حققت مبدأ الكم لأنها زادت عن السؤال بعبارة: (ولكن لا يقربك) فترد:

(إنه والله ما به حركة إلى شيء، والله ما زال يبكي منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا) (البخاري، 1993)

يصطدم المتلقي -المخاطب والقارئ- في الخطاب، فقد جاء دون تقديم أو تهيئة، وهذا يبين أن الحوار جاء مباشراً، ومحملاً بفكر الزوجة التي تأثرت بالعقوبة التي وقعت على زوجها، فحرمته السعادة، ولذلك حاولت طمأننة المحاور لها بعجز زوجها عن كل شيء باستخدام مؤكدين (إنه) والقسم (والله)، ثم استخدمت أسلوب التكرار لفكرة دمه (ضائعا) و (والله ما زال يبكي منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا) فحقق الخطاب من الناحية التداولية وظيفية اخبارية وتنبهية في أن، كما خرج الخطاب إلى بيان دور المرأة في صياغة خطابات سياسية واجتماعية ذات صبغة حجاجية تخبت له العقول وتتصاع لمضمونه، كما يبرز دورها في

محافظة على بقاء أمن الأسرة واستقرارها، في حين فشل كعب في ذلك.

وانفتح الحوار على حوار آخر بالاستفادة من الحوار الذي سبقه، (فقال لي بعض أهلي:

- لو استأذنت رسول الله ﷺ في امرأتك، كما أذن لامرأة هلال بن أمية أن تخدمه؟

فقلت: والله لا أستأذن فيها رسول الله ﷺ، وما يدريني ما يقول رسول الله ﷺ إذا استأذنته فيها، وأنا رجل شاب؟) (البخاري، 1993).

استطاع كعب أن ينصب خيمة أحداثه على الحوارات المتداخلة، وهذه براعة في إشراك الحوار في بناء الأحداث، فأهمية الحوار تتبع حقيقته وفهمه في (صلته بالأحداث من جريان الحوار بالأفعال والأحداث دون تدخل من المؤلف سواء أوافقت أحداث الحوار هواه، أم لا) (نوفل، د.ت)، فيراد كعب لحوار زوجة هلال مع الرسول ﷺ أعطاه سعة للحديث عن ألمه، وضعف حجته أنه شاب (وأنا رجل شاب؟) بينما هلال رجل (شيخ ضائع، ليس له خادم)، كما خاف رفض النبي ﷺ طلبه (وما يدريني ما يقول رسول الله ﷺ إذا استأذنته فيها).

وإنه لجدير بنا أن نقف هنا للأهمية أن نتحدث عن بناء الأحداث وترابطها بواسطة الحوار، وهذا يعد لبنة في تشكيل الموقف السردي وأبنيته الحكائية، فنصارع الحوار والسرد في حديث كعب بن مالك للوصول إلى أوجه الفن وصناعة الجمال بلغة تواصلية ناجحة. إن هذا الحوار في هذا البناء الحكائي بنى موقفه التواصلية، بالإضافة إلى الحدث فيتحصل التأثير في المتلقي-السامع أو القارئ- الذي هو أساس وقوام العملية التواصلية برمتها (زاهدي، 2011).

#### الحوار الثامن: الفرج

##### حوار كعب مع الرسول ﷺ

جاءت المحاور الأخيرة في حديث كعب، وكما جرت عادته مسبوقة بسرد يهيئ لهذه المحاور، ولكن ما يجعل القول يقف عند نقطة لها طابع الأهمية، أن هذا السرد برز فيه عنصر الزمان والمكان بشكل ملحوظ، فنجد كعب يحدده بدقة، فيذكر (فلبثت بعد ذلك عشر ليال، حتى كملت لنا خمسين ليلة من حين نهى رسول الله ﷺ عن كلامنا، فلما صليت صلاة الفجر صبح خمسين ليلة) (البخاري، 1993)، ولا بد أن لذلك مقصده تواصلية مع المتلقي فهذا الملفوظ يشير إلى زمن المعضلة القاسية في حياته، وقد أناخ عليه اليأس والألم بكله، فيأتي الفجر حاملاً معه البشرى والحل لها.

أمّا المكان فقد شارك الزمان في تحديد الحدث، ولكن ما يلفت النظر أن ظاهرة الاستعلاء اللغوية صارخة في تعابيره المكانية، مستخدماً حرف الجر (على)، فقد وصف حاله النفسية (وأنا على ظهر بيت من بيوتنا، فبينما أنا جالس على الحال التي ذكر الله قد ضاقت علي نفسي، وضاقت علي الأرض بما رحبت) (البخاري، 1993)، فالضيق مستعلي عليه بدءاً من نفسه (علي نفسي) والأجواء النفسية المحيطة به (جالس على الحال) وانتهاءً بالأرض (علي الأرض) مما أدى به إلى أن يفرّ (على ظهر بيت من بيوتنا) فالمصيبة قد أحاطت به إحاطة السوار للمعصم، ولكن البشرى جاءت أكثر سعة وعلواً، فقد جاءت البشرى مستعلية من فوق سبع سموات، ثم من فوق جبل سلع عندما سمع صوت صارخ (أوفى على جبل سلع، يا كعب بن مالك أبشر) (البخاري، 1993).

وهذا التواصل الذي حدث بين الشخصية الراوية من جهة، والمتلقي للنص ومبدعه من جهة ثانية، حقق إحدى مسلمات التداولية التي تشير إلى أن (يقدّم كل تواصل مظهرين، هما المضمون والعلاقة بطريقة يتضمن فيها الثاني الأول) (أرمينو، د.ت) فعندما تتم عملية نقل الحوار من زمنه الماضي إلى زمن التحدث به، فإنه سيعمد إلى الاختزال مبتعداً أو مقترناً من درجة الوضوح في النص الحوارية (البخاري، 1993). ولم ينطق كعب بكلمة حال سماعه البشرى، فقد كانت ردة فعله أفعالاً أكثر منها أقوالاً:

- فحين سمع الصوت دون رؤية المخبر خَرَّ ساجداً (فخرت ساجداً) (البخاري، 1993).

- وحين وصله أعطاه ثوبه (نزعته له ثوبي، فكسوته إياهما ببشراه، والله ما أملك غيرها يومئذ) (البخاري، 1993).

- استعار ثياباً ولبسها (واستعرت ثوبين فلبستهما) (البخاري، 1993).

- الانطلاق إلى الرسول ﷺ (وانطلقت إلى رسول الله ﷺ... حتى دخلت المسجد) (البخاري، 1993).

- التهنئة والمصافحة (فيتلقاني الناس فوجاً فوجاً... فقام إلى طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهنأني) (البخاري، 1993) وهذه الأفعال تدل على فرحة كعب، وحبه التخلص من الحزن والضنك، وإن لم يذكر تفصيلاً لأحداث البشرى؛ فالراوي للحوار لا يحكى كل ما قيل، وكيف كان، فهو يسعى إلى إيصال الفكرة، ولكن متتاليات القول ومجموعة العناصر السياقية يمكن أن توضح سلوك القائل، وتقود إلى تأويل كلامه على الوجه المقصود (فضل، 1996).

دائماً الحزن والفرح يحددان الأصدقاء والأقارب الذين يقفون مواسين أو مهنئين، فعلى الرغم من الفرحة التي تغمر كعباً إلا أنه

يسجل دائما في أبعاده التواصلية أسماء من وقفوا معه، ومعرضا عن أسماء من خذله، وقد مر بنا الحوار الذي دار في حضرة الرسول ﷺ عندما ذكر موقف معاذ بن جبل، في حين قال عن أسماء له ( رجل من بني سلمة)، وعندما جاءت البشرية يذكر موقف طلحة بن عبيد الله أثناء دخول كعب على رسول الله ﷺ يقول (فقام إلى طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهنأني، والله ما قام إلي رجل من المهاجرين غيره، ولا أنساها لطلحة) (البخاري، 1993) ، والنص يُنبأ بوضوح عن مقصدية المتكلم فأحيانا تتفاوت صياغة الغرض التواصلية من حيث درجة صراحتها التي يحددها مخزون المتكلم المعلوماتي حين التواصل، وما يفترضه المتكلم عن مخزون المخاطب المعلوماتي (المتوكل، د.ت)، فليس ثمة ضبابية مختبئة داخل ملفوظات كعب يصعب وصول دلالتها للمتلقى، ففي التواصل اللغوي يشدد على نوايا القائل، وعلى فهم المخاطب لهذا النوايا (ردول، 2003) ، فيسمح لنا أن نتأول تلفظ كعب (والله ما قام إلي رجل من المهاجرين غيره، ولا أنساها لطلحة) كما يلي:

- المهاجرون غير مسرورين لقبول توبة كعب.

- كعب مذنب، لا يستحق التهئة بالعناق والمصافحة.

- الغيرة منه لنزول قرآن فيه وتقريب الرسول ﷺ له.

- كعب حفظ موقفهم السيئ، ويستثنى طلحة.

فلا تقف الكلمات عند حدود المعنى الصريح دون أن يكون لها أبعاد أخرى يخطط لها مبدع النص، والسؤال هنا هل هذه العبارة أخلت وأخرت الحوار المتمركز في المضمون؟ لا بدّ من بيان الظروف والملابسات التي تم فيها الحوار من الناحية التداولية، ولذلك لم يكن تقديم كعب لحواره بمنأى عن المضمون الحوارية فقد ذكر أن المهنيين تلقوه فوجا فوجا وهذه الحالة ربما تعيد لكعب هيئته ووجوده الذي فقده، وإقبال الناس عليه بعد اعراضهم عنه والخروج من الأزمة، فلم يشذ المهاجرون ما عدا طلحة عن هذا الاستقبال، فهو ذكر مشروع لمن شارك وأعرض.

كما أن كعب من الناحية التداولية استخدم أسلوب التعدد الصوتي الذي يعد حلية أو أداة استثنائية في رواية الأصوات، بل هو أساسي وجوهري؛ لأنه يكشف عن المستويات المختلفة للأصوات داخل النص الحوارية (عليان، 2008) ، كما شكل خطابهم طرفا في الحوار بشكله الجماعي، وهذا الحوار يُنبئ عن نوعين من الخطاب: الايصالي، والابداعي (عياش، 2009)، فكعب لم يهضم حقه من ذكر ما له وما عليه في جميع المواقف.

يبدأ الحوار الأخير في حديث كعب مع الرسول ﷺ فيبعد أن سلم كعب كانت حالة الرسول ﷺ من السعادة بمكان (وهو يبرق وجهه من السرور) (البخاري، 1993) وهذه الحال تكشف عن مفاجأة عظيمة لكعب، ويبادر الرسول ﷺ كعب (أبشُر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك) (البخاري، 1993) ومضمون هذا التلطف يشير من الناحية التواصلية إلى صغر حجم المعاناة التي عاشها كعب، فلئن صبر خمسين يوما في الضنك والحزن، وألم المعصية، فقد جاءت به بشارة في يوم كان أفضل أيام حياته، وهذا من رحمة الله به كما نزل به قرآنا يتلى إلى يوم الساعة.

ويبادر كعب النبي ﷺ بسؤاله النابع من إيمانه (أمن عندك يا رسول الله، أم من عند الله) (البخاري، 1993) وهذا يكشف أن العبادة لله وهو وحده من يكافئ عليها، وليس للعبيد، (قال: لا بل من عند الله) (البخاري، 1993) .

ثم يقدم كعب اقتراحا في محاولة للتقرب إلى الله بشئى الوسائل، وطرح البدائل، كتقديم قربان أو صدقة (إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله وإلى رسول الله) (البخاري، 1993)، أو غير ذلك (فإني أمسك سهمي الذي بخبير يا رسول الله) (البخاري، 1993)، ولكن الدين يتعامل بالقيم أكثر، ويعتني بصدق النوايا أكثر (قال رسول الله ﷺ أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك) (البخاري، 1993).

وتنتهي المحاورة بتسجيل كعب عنوانا لصبره على التوبة من ذنبه وكثرة محاولاته للتخلص من هذا الذنب، مطلقا صيحة قيمة عظيمة في التداوي من الذنب وهي الصدق فهو منجى (إن الله إنما نجاني بالصدق، وإن من توبتي ألا أحدث إلا صدقا ما بقيت...) (البخاري، 1993)

ونلاحظ في المحاورة السابقة أن الحوار كسر طول السرد، فالسرد يصف الأحداث وصفا خارجيا، إنما يقوم الحوار بتجسيد الأحداث، فيجعل منها صورة حية، كما كان التواصل حسب السياق وقرائن الأحوال (لايكوف، 2008) ، ولما كانت هذه المحاورة الأخيرة في حديث كعب، فقد ساعد الحوار فيها على استحضار ما يُسمى (الذاكرة الخطابية) فالخطاب وقع تحت ذاكرة خطابات أخرى استحضرتها المتلقي فتمت عملية التواصل.

## الحوار التاسع:

### [حوار النفس]

برز حوار النفس بين حوارات كعب المتعددة في حديثه التي لا يمكن تجاهله، لما فيه من الأهمية في بيان أشكال الحوار: الخارجي (الديالوج)، والداخلي (المونولوج)، فإذا كان الحوار الخارجي حواراً مفتوحاً على عدة أطراف، فإن الحوار الداخلي يغلق على نفسه ومع نفسه، ويشكل بعداً تواصلياً، حيث تستطيع الذات الواحدة التحاور مع ذاتها، وتعد من أدنى درجات التواصل (سويرتي، 2007)؛ وهو حوار منظم يتضمن غالباً معنى الصراع الداخلي الذي تموج به النفس (عمارة، 1993).

فكعب -في حديثه- لجأ إلى محاورته ذاته في ثلاثة مواقف: الموقف الأول، عندما كان يتجهز للغزوة، والثاني عند قول الرسول ﷺ من الغزوة، والثالث عند جفوة الرسول ﷺ له، واتخذ حواراً مع نفسه ثلاثة أنماط: نمط الاتفاق مع النفس، والثاني الصراع مع النفس، والثالث الخطاب غير المباشر.

وهذه القدرة التي أظهرها كعب في إدارة حوارها في قضية مهمة في حياته، إنما هي موضوع جوهرى لفلسفة العقل (دايك، 2000)، كما شكلت صيغة تواصلية في تحقيق الصلة العلائقية بين الذات بوصفها كينونة نفسية ووجودية، وبين الذهن بوصفه كينونة عقلية توليدية متصلة بالخيال والذاكرة معا (عبد السلام، 1993).

أما الحوار الأول [الاتفاق مع النفس] فقد كانت نفسه المعين له على المماثلة ثم التخلف عن الغزوة، ولكن كعب وافق نفسه هواها، مما أدى إلى تطور السياق مع تطور الخطاب في الآن نفسه (أرمينو، د.ت) (فأقول في نفسي: أنا قادر عليه) (البخاري، 1993) ويبدو من خطابه الظاهري أنه من طرف واحد وسنرمز له (س)، ولكن الطرف الآخر المستتر وسنرمز له (ص) هو جزء من ذاته أيضاً ولم يظهره؛ لأن المتلقى يتوقع أن يكون الحوار بناء على ملفوظ كعب (فلم يزل يتمادى بي حتى اشتد بالناس الجد) (البخاري، 1993) فنتكهن بأن يكون الحوار كما يلي:

س: سأجهز للغزوة وسأحضر ركوبة وعدة الغزوة من أسلحة وغيرها.

ص: الوقت طويل وستعمل.

س: أعددت الركوب وظل الباقي

ص: الوقت المتبقي طويل.

س: سوف أكمل غدا.

ص: أنت غير قادر على إكمال الاستعداد للغزوة المادي والمعنوي لأن الوقت أدركك.

س: أنا قادر عليه.

ثم يتولى الخطاب غير المباشر إكمال الحوار المباشر، وتمثل في قيام كعب بدور الراوي أو الشاهد الحاكي (المخضوب، 1994) (وهممت أن أرتحل فأدركهم، وليتني فعلت) (البخاري، 1993)، ويمكن أن نصف الحوار السابق بالمنظم، والذي صور مونولوجاً انشطرت معه الذات المتلفظة (شارودو، 2008)؛ لتنتج رسالة للمتلقى تبين كيفية حدوث المشكلة والبؤرة التي دار عليها الحديث، كما لم يحمل نفسه المسؤولية كاملة؛ للتردد الذي أصابه حين قاسمها الذنب.

فكعب من الوجهة الحجاجية بدأ بالندرج في شرح كيفية التخلف عن الغزوة، بحيث لا يجعل المتلقي يلقي باللوم الكامل عليه، فهو تجهز بنصف جهاز الغزوة، وهم بالذهاب ولكنه لم يفعل، وتمنى لو فعل (وليتني فعلت) وهذا الملفوظ يقوم على مبدأ الاقتصاد لأنه يختصر عليه شرحاً كبيراً لما آل إليه حاله لعدم اشتراكه بالغزوة، وفيه أسبقية للاستعمال الوصفي والتمثيلي للغة، وأسبقية القدرة على الانجاز، فالتداولية تقوم على دراسة الاستعمال اللغوي.

وأما الحوار الثاني [الاختلاف مع النفس] فقد أجراه كعب مع نفسه؛ لتسانده فيما سيقول للنبي ﷺ إذا سأله عن تخلفه عن الغزوة، وهذا المونولوج دار في ظروف تعج بالتوتر والخوف والقلق والشعور بالذنب (حضرني همي) (البخاري، 1993) وهذا ينبأ عن وجود صراع داخلي ينهش كعباً، على ضوءه فُكر في تزوير الحقيقة كما محضته ذاته بهذا النصح (وظفقت أتذكر الكذب) (البخاري، 1993) ولعل مقصوديته أن تهدأ نفسه وتطمئن جوارحه؛ لأنه في ظل توتره لا يقوى على التفكير، وجاء هذا الرأي من الأعدار التي قدمت للرسول (جاءه المخلفون، فطفقوا يعتذرون إليه ويحلفون له) (البخاري، 1993) فالرسول ﷺ قبل علانيتهم، وأوكل سرائرهم إلى الله، ثم نجده يلجأ إلى داخله طلباً للمساعدة (وأقول: بماذا أخرج من سخطه غدا) (البخاري، 1993) ويبدو أن الشطر الآخر من نفسه يصمت، كونها الحائثة على الذنب، وحديث النفس هذا يضيف إلى الموقف المراد التعبير عنه أبعاداً لم

تكن لتظهر لو أكتفى بها، وتجعله يتحرك باتجاه واحد(عمارة، 1993)، كما ينجز حديث النفس وظيفة تشويقيه ابتكارية، ووظيفة تأثيرية إقناعيه، لأنه-أي حديث النفس يجسم الموقف بالإخبار عنه ويصور المشاعر المتضاربة إزاءه، فهذا يجعله من غير شك أكثر تأثيرا وإقناعا (إسماعيل، 1988).

بالإضافة إلى أن جعل الذات قطبا مهما في النص يحقق ظاهرة (الانزياح) فالأصل أن أحاديث الناس موجهة إلى بعضهم لا إلى أنفسهم، كما أن ماهية الإبداع الأدبي لا تتأتى إلا بالخروج عن هذه المسلمات، وبهذا تحقق انزياحا في خطابية الحوار (المشهوري، 2013).

فبعد أن أدار كعب الحوار مع نفسه، ومَتَّح من أعماقه، فكأنما لم يرق له ردُّ نفسه، واتعظ منه لما أوقعتة في ورطة عندما تخلف عن الغزوة، فكان منه نقل الخطاب إلى ذوي الرأي من أهله (واستعنت على ذلك بكل ذي رأي من أهلي) فعدل عن الانزياح لما اقتضاه الموقف، وحقق له هذا إثارة المتلقي من جهة، ومن أخرى حاول أن يثبت مبدأه أمام نفسه، ويفوز ليحدث الراحة ويحقق الطمانينة (الشافعي، 1950)، وتوصل بعد حوارهِ أن الصدق منجاة (وعرفت أني لن أخرج منه أبدا بشيء فيه كذب، فأجمعت صدقه) (البخاري، 1993).

**والحوار الثالث:** [ازدواجية الخطاب] اتخذ هذا الحوار طابع الخطاب المباشر، وغير المباشر، وهذا ما يلمسه المستمع لا المخاطب في الحوار، ففي النص يتزامن الديولوج والمونولوج؛ فكعب تارة محاور، وتارة يقوم بدور الراوي أو الحاكي أو الناقل، ولعل استثمار ذلك ليساعده على اختزال الأحداث للاسترجاع الزمني والعودة إليه [الخطاب المسرد أو المروي هو أبعد الحالات مسافة وأكثرها اختزالا]. (جينت، 1997).

فحين أحجم الرسول ﷺ عن الحديث معه، طفق يشارك المستمع مشاهدة الحوار من بعيد؛ فينزاح الحوار من الخطاب غير المباشر إلى خطاب الذات، فيقول بصفته ساردا: (وَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ) وبصفته محاورا في الوقت نفسه (فأسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة) (البخاري، 1993)، ثم ينتقل إلى حوار نفسه "المونولوج" (فأقول في نفسي: هل حرك شفثيه برد السلام علي أم لا؟) (البخاري، 1993) ثم يعود لرواية الحوار (ثم أصلي قريبا منه، فأسارقه النظر، فإذا أقبلت على صلاتي أقبل إلي، وإذا التفت نحوه أعرض عني، حتى إذا طال علي ذلك من جفوة الناس) (البخاري، 1993)، ويبدو أن مقصدية كعب من ملفوظاته هي سعيه في إيصال موقفه، ومعاناته للتكفير عن ذنبه، وقد أعانته بعض العناصر السياقية في تأويل كلامه على الوجه المقصود (فضل، 1996).

أظهرت حوارات النفس عند كعب البعد الداخلي، أو البعد النفسي للشخصية، فالشخصية كما لها بعدا خارجيا تتضمن أيضا مضمونا داخليا يتم من خلال البعد الداخلي تصوير أحوال الشخصية النفسية، وما تحمله من عواطف ومشاعر وطباع وأفكار، وما يعتل فيها من انفعالات وأزمات وهواجس (الخازمي، 2006)، ويوصل المبدع القارئ من خلال حوارهِ إلى مكونات نفسه، وخبايا عقله، كما جعله يرتاد عالمه الداخلي وإخراج ما فيه من مشاعر وأحاسيس (سماحة، 1999). ومن ذلك قوله (قد ضاقت علي نفسي، وضاقت علي الأرض بما رحبت) (البخاري، 1993) فقد أصبح في نزاع مع اليأس الذي تملك نفسه، والضيق الذي شعر به، أضف إلى ذلك الحيرة التي أصابته إلى حد ضيق الأرض بما رحبت عليه، وكان لاستعمال كعب الطريقة التمثيلية [تصوير الشخصيات] (نجم، 2007) أقوى أثرا وأدق تعبيراً من وصفها وصفا خارجيا، فقد ساعدت في كشف شخصيته من الداخل إلى الخارج.

ولم يبخل كعب في إشعار القارئ بعميق حزنه، وقد أصبحت الأرض مشاركة له في شعوره، وهذا لتتكشف بذلك الأبعاد النفسية والعقلية للشخصية (التطاوي، د.ت)، أضف إلى ذلك أن النفوس تتواصل من خلال المشتركات بينها من المشاعر والأحاسيس، والحوار يسهم في تصوير الجو العام، والأجواء النفسية الخاصة بالشخصية، ويسهم في رسم الشخصية (المشهوري، 2013-نجم، 2007).

#### وبعد

فإن النص الذي درسنا الحوار فيه ينتمي إلى الأحاديث النبوية الشريفة، إلا أنه حمل في ألفاظه ولغته تقنيات البلاغة والأسلوبية، الأمر الذي جعل النص يصبغ أيضا بالصبغة الأدبية، ويكون مطوعا لدراسته من الوجهة التداولية، التي أثبتت مقدرتها في تحليل تلفظات الحوار، وتوصيل رسالة المبدع الباحث لمستقبل مخاطب ومستمع، وقد توصلت الدراسة إلى النتائج التالية:

1. احتفاء حديث كعب بالحوار، وبشكل يسمح لنا بالقول: إن الحوار قام بالحدث حيناً، وساعد في تشكيله حيناً آخر، وإن لم يأتي الحوار بصورة ناضجة يمكن أن يحاسب عليها كعب بدقة، فكعب -شأنه شأن القدماء في ذلك- لم يكن حوارهِ بوعي كامل منه، كما يحرص عليه المبدعون اليوم، ولكنه حمل الكثافة والايجاز والعفوية والقصدية، ونهض بالفكرة والصورة.

2. نجح كعب عن طريق الحوار في تصوير مكونات شخصية إسلامية أذنبت فلانها دفع ضريبة هذا الذنب ابتلاءات امتدت خمسين ليلة مليئة بتصاعد الهموم وتواليها، ولكنها نفسية تواقفة إلى التوبة، وصادقة مع الله.
3. خرجت حوارات كعب عن الحوار العادي إلى حوارات تحمل صفة الجدلية والحجاج والخطابة وقد صرح بذلك (ولقد أعطيت جدلاً) مما جعله يؤدي وظيفة تبيهيية تأثيرية في المتلقي.
4. نهضت لغة الحوار في تحقيق مبدأ التواصل، فعلى الرغم من أنها لغة بسيطة إلا أنها أقامت التواصل وحافظت عليه، وكانت محفزاً قوياً للمرسل-مبدع النص-بأن تكون لجهوده ثمرة يرنو إليها.
5. تعددت الأطراف المتحاورة في حديث كعب بين شخوص ناطقة في الحقيقة، إلى شخوص غائبة ناب عنها كتابها (كتاب ملك غسان)، إلى الاتجاه إلى حوار النفس، مما أثرى الحوار ونوعه.

### التوصيات

- بعد الخوض في حديث كعب بن مالك عند تخلفه عن غزوة تبوك -موضوع الدراسة- أوجت الدراسة بعدة توصيات منها:
- قيام دراسات نقدية حديثة تتناول هذا الحديث لأنه يفتح أفقا نقديا كبيرا، فيصلح لدراسة السرد في هذا الحديث، عبر المنهج البنوي أو التفكيكي.
  - يبدي حديث كعب بن مالك بما يملك من مضمون وافية عالية مطوعية لدراسته وفق الأسلوبية بما فيه من انزياحات دلالية وتلفظية .
  - كما لا يستعطي الحديث من ناحية أيضا ألفاظه، وتراكيبه الدلالية على تناوله وفق نظرية التلقي لما فيه من كسر لتوقع القارئ، وهذا يحتاج لقارئ جيد للخوض فيه.
  - ألقت الانتباه أن هذه التوصية تعنى بالجانب النقدي؛ وذلك لأن الدراسات الإسلامية حاولت دراسته من الناحية الايدولوجية؛ لاستنباط ما يوحي به الحديث من دلالات دعوية وارشادية.

### المراجع

- القرآن الكريم
- أبو عبد الله المالكي: محمد بن عبد الباقي الزرقاني (ت: 1122هـ): شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، تحقيق: صالح أحمد الشامي، دار الكتب العلمية، 1996م.
- أرمينو، فرانسواز: المقاربة التداولية، ترجمة: عيد علوش، مركز الإنماء القومي، (د.ت).
- إسماعيل، عز الدين: الشعر العربي المعاصر، دار العودة، بيروت، ط5، 1988م.
- الشافعي، أبو مدين: الصراع النفسي، دار الفكر العربي، ط1، 1950م.
- الواقدي: محمد بن عمر بن واقد(ت:207هـ): المغازي الواقدي، تحقيق: مارسدن جونس، عالم الكتب، بيروت، ط3، 1984 م.
- أوستين، جون لانكشو: نظرية أفعال الكلام العامة، ترجمة: عبد القادر قيني، أفريقيا الشرق، المغرب، ط3، 2008م.
- البخاري محمد بن اسماعيل البخاري الجعفي: صحيح البخاري، حققه: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط5، 1993م.
- بلانتان، كريستيان: الحجاج، ترجمة: عبد القادر المهيري، مراجعة عبد الله صولة، دار سيناترا، تونس، 2008م.
- بلا نشيه، فيليب: التداولية من أوستن إلى غوفمان، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية، ط1، 2007م.
- بوقره، نعمان: المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، عالم الكتب الحديثة، الأردن، ط1، 2009م.
- جينت، جيرار: خطاب الحكاية، بحث في المنهج، ترجمة محمد معتصم وآخرون، المجلس الأعلى للثقافة، ط2، 1997م.
- حسن عبد الله، محمد: فنون الأدب، دار الكتب الثقافية، الكويت، ط2، 1978م.
- الحكيم، توفيق: فن الأدب، دار مصر للطباعة، مصر، (د.ت).
- الحمود، علي محمد: الاتجاه الإسلامي في الرواية في دول التعاون الخليجي، عمادة البحث العلمي بجامعة الإمام، الرياض، 2010 م.
- الخازمي، حسن حجاب: البناء الفني في الرواية السعودية، نشر المؤلف، جازان، ط1، 2006م.
- الراضي، رشيد: الحجاج والمغالطة، من الحوار في العقل إلى العقل في الحوار، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2010م.
- رياح، عبد السلام: جمالية السرد في الأدب الإسلامي القديم، شبكة الألوكة، www.alukah.net/، تاريخ الاسترجاع 2018/7/20م.

- روبول، أن، و موشارلر، جاك: التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ترجمة: سيف الدين دغفوس، ومحمد الشيباني، المنظمة العربية للترجمة، لبنان، ط1، 2003م.
- دايك، فان: النص والسياق: استقطاب البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، ترجمة: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، المغرب، ط1، 2000م.
- السامرائي، فاضل صالح: معاني النحو، المجلد الرابع، دار الفكر للطباعة والنشر، عمان، الأردن، ط2، 2003م.
- ابن سعد البصري: محمد (ت: 230هـ): الطبقات الكبرى، تحقيق: إحسان عباس، دار الكتب العلمية، بيروت، 1990م.
- سماحة، فريال كامل: رسم الشخصيات في روايات حنا مينه، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1999م.
- السيوطي: جلال الدين (ت: 911هـ): الأشباه والنظائر، تحقيق طه عبد الرؤوف، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، 1975م.
- سويرتي، محمد: النحو العربي من المصطلح إلى المفاهيم: تقريب توليدي وأسلوبية وتداولي، أفريقيا الشرق، المغرب، ط1، 2007م.
- شارودو، باتريك، منغون، دومينيك: معجم تحليل الخطاب، ترجمة عبد القادر المهيري، وحمايدي صمود، دار سيناترا، تونس، 2008م.
- الشجاع، عبد الرحمن: دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة، دار الفكر المعاصر، ط1، 1999م.
- صحراوي، مسعود: التداولية عند العلماء العرب، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 2005م.
- عبد السلام، فاتح: الحوار القصصي، تقنياته وعلاقاته السردية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1999م.
- عبد الفتاح مقلد، طه: الحوار في القصة والمسرحية والإذاعة والتلفزيون، مكتبة الشباب، القاهرة، ط1، 1975م.
- عزيزة مريدان، القصة والرواية، دار الفكر، دمشق، ط1، 1980م.
- عليان، حسن: تعدد الأصوات والأقنعة في الرواية العربية، مجلة دمشق، العدد الأول والثاني، 2008م.
- عمارة، السيد أحمد: الحوار في القصيدة العربية إلى نهاية العصر الأموي، (د.د.) 1993م.
- عياش، منذر: الأسلوبية وتحليل الخطاب، دار المحبة، دمشق، ط1، 2009م.
- فضل، صلاح: بلاغة الخطاب وعلم النص، دار نوبار للطباعة، القاهرة، ط1، 1996م.
- ابن كثير: أبو الفداء، إسماعيل (ت: 774 هـ): البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله التركي، دار الفكر، 1986م.
- لايكوف، جورج: اللسانيات ومنطق اللغة الطبيعي، ترجمة عبد القادر قنيني، يوسف، حسني عبد الجليل: أساليب الاستفهام في الشعر الجاهلي، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2001م.
- المتوكل، حمد: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، بنية الخطاب من الجملة إلى النص، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط (د.ت.).
- المخضوب، لطيفة عبد العزيز: القص الشعري في الإبداع السعودي المعاصر، دار عالم الكتب، الرياض، ط1، 1994م.
- مدقن، هاجر: آليات تطبيق المنهج التداولي على النص التراثي، الملتقى الوطني الأول في الاتجاهات الحديثة في دراسة اللغة والأدب، 2011م.
- المشهور، محمد بن عبد الله: الحوار في شعر محمد حسن فقي، دراسة تداولية، جامعة الملك سعود، إدارة النشر العلمي والمطابع، 2013م.
- نجم كاظم: مشكلة الحوار في الرواية العربية، عالم الكتب الحديث، ط1، 2007م.
- نجم، محمد يوسف: فن القصة، دار الثقافة، بيروت، ط5، 1966م.
- نظيف، محمد: خصائص التفاعل التواصلية: دراسة تطبيقية في اللسانيات التداولية، أفريقيا الشرق، المغرب، ط1، 2010م.
- نوفل، يوسف حسن: تطور لغة الحوار في المسرح المصري المعاصر، دار النهضة العربية، (د.ت.).
- هوك، جان: بنية اللغة الشعرية، ترجمة: محمد الولي ومحمد العمري، دار توبقال للنشر، المغرب، ط1، 1986م.
- الهيوميل، حسن: الفقي والإباء العنيف (2)، مجلة الفيصل، العدد 215، جمادى الأولى، 1994م.

## Pragmatique Dialogue in Hadith of Ka'b ibn Malik

*Samah Yousif Al-Smairat \**

### ABSTRACT

It is a study to deal with the conversation of Ka'b ibn Malik when he failed to invade Tabuk, trying to describe his psychological condition. The dialogue and the mechanisms of dialogue, and the form of a scientific phenomenon was this study to reveal the behind the dialogue of the function of ideology, through the intent of the speaker, as this dialogue showed the use of a poetic language predicts the ability of the poet Ka'b ibn Malik to manage Dialogue and selection of words. The deliberative approach is an effective method in the analysis of speeches, and their artistic, and substantive achievement, and the technique of dialogue is one of the basic techniques on which prose arts are based. Therefore, this study is based on the deliberative approach that allows understanding the speaker's intent of his dialogue, studying the acts of speech and others.

**Keywords:** Dialogue, Deliberation, Hadith, Conversation Alimplicature.

---

\* Researcher, Jordan. Received on 6/10/2018 and Accepted for Publication on 4/3/2019.